فصل في أيّام العرب

فمن ذلك **يوم ذي الأَثْل**: غزا صَخر بنُ عَمرو بن الشَّريد بني أسد بن خُزيمة، فساق إبلَهم، فنذروا به، فلحقوه، فطَعنَ ربيعةُ بن ثور صخراً في جنبه ونجا، وأقام مريضاً من تلك الطَّعنةِ سنةً، فسمع امرأتَه سلمى يوماً وهي تقول لأخرى وقد سألتْها عنه فقالت: لا حيٌّ فيُرْجى، ولا مَيْتٌ فيُسْلَى، ولقد لقيتُ منه الأمرَّين.

وكانت أمُّ صَخْر إذا سُئلت عنه تقول: أرجو له السلامة والعافية إن شاء الله تعالى. فقال صخر: [من الطويل]

أرى أمَّ صخرٍ ما تَمَلُّ عيادتي ... ومَلَّتْ سُليمى مَضْجعي ومَكاني
وأيُّ امرىءٍ ساوى بأمٍّ حَليلةً ... فلا عاش إلا في أذىً وهوانِ
وما كنتُ أخشى أن أكونَ جِنازَةً ... عليكِ ومَنْ يغترُّ بالحَدَثانِ
لعَمري لقد أيقظْتُ مَن كان نائماً ... وأسمعتُ مَنْ كانت له أُذنانِ
أهمُّ بأمر الحَزْمِ لو أستطيعُه ... وقد حِيل بين العَيْرِ والنَّزَوانِ[1]

فلما طال عليه البلاء، نَتأتْ قطعةٌ من جنبه مثل الكَبِد[2] في موضع الطعنة، فقالوا له: لو قطعتَها رَجونا أن تبرأ، فقال: افعلوا، فقطعوها فمات، فرثتْه أختُه الخنساء بالمراثي المشهورة[3].

ومنها **يوم أَقْرُن**: غزا عمرو بن عمرو بن عُدَس الدارمي بني عبس، فاستاق الإبل والشاء والسّبايا، ثم أقبل فنزل عند ثَنيَّةِ أَقرُن، فلحقه أنسُ الفوارس فقتله، وانهزمت بنو مالك، فكان لبني عبس على بني دارم، وفيه يقول جرير: [من الكامل]

هل تَذكُرون على ثَنِيَّة أَقْرُنٍ ... أنسَ الفوارسِ يوم يَهوي الأَسْلَعُ

أراد بالأسلع عمرو؛ لأنه كان أبرص[4].

---

(١) الأصمعيات ١٤٦.

(٢) في العقد ٥/ ١٦٧: اليد.

(٣) انظر الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي ١/ ١١٠.

(٤) النقائض ٩٧٧، والعقد الفريد ٥/ ١٧٨ـ١٧٩.

ومنها **يوم الإبل**، قُتل فيه بِسْطامُ بنُ قَيْسٍ.

ومنها **يوم أُوارَة**، هو اسمُ ماءٍ كانت به وقعةٌ بين عمرو بنِ هند وبني تميم، وفيه يقول بعض بني تَيْم الله بن ثعلبة: [من الكامل]

ولقد شهدتُ الخيلَ يوم طِرادِها فطعَنتُ تحت كنانةِ المُتَمطِّرِ[١]

ومنها **يوم بَرْزَة** لكنانةَ على بني سُلَيم، لما قتلت بنو سُليم ربيعةَ بنَ مُكَدّم ـ فارس كنانة ـ يوم الكَدِيد رجعوا، فأقاموا مدة، فملّكوا عليهم مالك بن خالد بن صَخر بن الشَّريد، وتوَّجوه، وكان يُقال له: ذا التَّاج، وخرجوا معه، فعرفه بنو كِنانة، فأغار على بني فراس ببَرزَةَ، ورئيسُ بني فراس يومئذ عبد الله بن جِذْل، فدعا عبدُ الله إلى البِراز، فبرز إليه هندُ بن خالد بن صَخْر أخو مالك، فقال له عبد الله: مَن أنت؟ فقال: هند بن خالد، فقال: أخوك مالك أَسَنُّ منك، نريد مالكاً، فرجع، فأخبر مالكاً، فبرز إليه مالكٌ فقتله عبدُ الله، ثم برز إليه كُرْز بنُ خالد أخو مالك، فقتله عبدُ الله[٢].

ومنها **يوم البِشْر**، ويقال له: يوم الجَحَّاف، وفيه يقول الأخطل: [من الطويل]

لقد أَوقعَ الجحَّافُ بالبِشْر وَقعةً إلى الله منها المُشتكى والمُعَوَّلُ[٣]

ومنها **يوم بُعاث**، كان قُبيل الإسلام بين الأوس والخزرج.

ومنها **يوم النُّتاءة**[٤] لعبسٍ على بني عامر، خرجت بنو عامر لتدرك ثأرَها من عَبْس يوم الرَّقْم، فوصلوا النُّتاءة وهي في أرض عبس، وقد نذِروا بهم، فالتقَوْا، وعلى بني عامر: عامر بن الطُّفَيل، وعلى عَبْس: الرَّبيعُ بن زياد، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت بنو عامر، وطعن ضُبَيعةُ بنُ الحارث عامرَ بن الطُّفيلِ، فلم يَضُرَّه.

ومنها **يوم تَحلاق اللِّمَم**، كان لتَغْلب[٥] على بَكر بن وائل، وكان الحَلْق شعار تغلبَ يومئذ، حلقوا رؤوسهم علامةً لهم.

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ١٣٣، تمطّر الرجل، إذا أسرع، والكنانة من الكَنّ، لأنه يُصان بها النَّبْل.

(٢) العقد ٥/ ١٧٤، والأنوار ١/ ١٢٠.

(٣) ديوانه ص ١٠.

(٤) في النسخ: البناءة، هنا وفيما يأتي، وهو خطأ، والمثبت من العقد ٥/ ١٦١.

(٥) يعرف بيوم قِضَة، وكان لبكر على تغلب، انظر العقد ٥/ ٢٢٠.

ومنها يوم جَبَلَةَ، وهي هضبة حمراء بين الشُّرَيْف والشَّرَف، وهما ماءان: الشُّرَيف لبني نُمَير، والشَّرَف لبني كِلاب، وكان بين عبس وذُبيان ابنَي بَغيض، وفيه يقول الرَّاجز:

لم أرَ يوماً مثلَ يومِ جَبَلَهْ
يوم أتانا أسدٌ وحَنْظَلَهْ
وغَطَفان والملوكُ أَزْفَلَهْ[1]

ويقال له: يوم شِعْب جَبَلة، وكان لعامرٍ وعبسٍ على ذُبيان وتميم، وسببه أنه لما انقضت وَقْعة رَحْرَحان، جمع لَقيط بنُ زُرارَة لبني عامر، وألَّب عليهم، وبين يوم رَحْرَحان ويوم جبلة سنة، وكان يوم جَبَلَة في العام الذي وُلد فيه رسولُ الله ﷺ.

وكان لبني عَبس في بني عامر حُلَفاء لهم، فاستعدى لَقِيط بني ذُبيان لعداوتهم لبني عبس من أجل حرب دَاحِس، فأجابته غَطَفانُ كلّها غير [بني] بدر، وتجمّعت تميم كلها غير بني سَعد، وخرجت معه بنو أَسدٍ بحِلْفٍ كان بينهم وبين غطفان، ثم أتى لقيطٌ إلى الجَوْن الكَلْبي، وهو ملك هَجَر، فقال: هل لك في قوم غارِّين قد ملؤوا الأرض نَعَماً وشاءً، وترسلُ معي ابنَيْك، فما أصبنا من نَعَمٍ وشاءٍ فهو لهما، وما أصبنا من دَمٍ فعلينا؟ فأجابه الجَوْن إلى ذلك.

ثم أتى لقيطٌ النُّعمان بنَ المُنْذر، فاستنجده ووعده بالغنائم، فأجابه، وكان لقيط وَجيهاً عند الملوك، فلما كان رأسُ الحَوْلِ من يوم رَحْرَحان، أقبلت الجيوش نحو لَقيط، وأقبل سِنانُ بن أبي حارثة المُرِّي في غَطَفان، وهو والد هَرِم الجَواد، وجاءت بنو أسد، وأرسل الجَوْنُ ابنَيْه معاوية وعَمْراً، فقال الأَحوص بنُ جعفر ـ وهو يومئذ رَحَا لهوازن[2] ـ لقيس بن زهير: ما ترى؟ فإنك تَزعم أنه ما عَرَض لك أمران إلا وجدتَ في أحدهما المخرجَ، فقال قيس: الرأيُ أن نَرتحلَ بالأموال والعيال، فندخلَ شِعبَ جَبَلة فنقاتل القومَ من وجه واحد، فإن لَقيطَ بن زُرارة رجل فيه طَيشٌ، وسيقتحم عليك

(١) النقائض ٦٦٣.

(٢) يعني سيدهم.

الجبل، فأرى لك أن تأمرَ بالإبل فلا تُسقى ولا تَرعى وتُعْقَل، وتجعلَ الذَّراري وراء ظهورنا، وتأمرَ الرَّجَّالة يأخذون بأذناب الإبل، فإذا دخلوا الشِّعب، حلَّت الرَّجالةُ عُقل الإبل، ثم لزمت أذنابها فتنحدِر عليهم، وتحنُّ إلى مرعاها وورودِها الماءَ، فلا يردُّ وجوهَها شيء، وتخرج الفرسانُ في إثْر الرجَّالةِ الذين خلف الإبل، فتَحطِمُ ما لَقيتْ، فقال: نِعْمَ ما رأيت.

وأقبل لقيطٌ والملوكُ معه، فوجد بني عامر قد دخلوا شِعبَ جَبَلة، فنزلوا على فم الشِّعب، فقال لهم رجل من بني أَسد: خُذوا عليهم فمَ الشِّعْب حتى يجوعوا ويعطشوا، فإنهم يتساقطون عليكم تساقُطَ البَعر من اسْت الجمل، فأبَوْا، ودخلوا، وكانوا قد عَقَلوا الإبلَ اثنتي عشرة ليلةً لم تَطعَم، ولم تشرب، وحلَّت الرَّجَّالة عُقُلَها، فأقبلت تهوي، فسمع القوم دويَّها في الشِّعْب، فظنوا أنَّ الشِّعَب قد تَدَهْدى عَلَيهم، والرَّجَّالةُ خلفَها، والفرسانُ في إثْرِهم، فانهزمَ القومُ لا يَلْوُون على شيء، وقُتِل لقيطُ بن زُرارة، وأُسِر أخوه حاجب، أسره ذو الرُّقَيْبَة، وأَسر عروةُ الرَّحَّال سنانَ بنَ أبي حارثة، فجزَّ ناصيته، وأَطلقه، وقُتل معاوية بن الجَوْن، وأَسر قيس بنُ المُنتَفِق عمرو بنَ أبي عمرو ابن عُدُس، فجزَّ ناصيتَه، وأطلقه طَمعاً في المكافأة، فلم يفعل، وقُتل جماعةٌ من سَرَوات الناس منهم: مُنْقذ بن طَريف الأَسدي، ومالك بن رِبْعي بن جندل بن نَهشل، وأكثر الشعراء في يوم جبلة، قال جرير: [من الطويل]

كأنَّك لم تَشهد لقيطاً وعامراً ... وعَمرو بنَ عَمرو إذ دعا يا لَدارِم
ويومَ الصَّفا كنتُم عَبيداً لعامرٍ ... وبالحَزْن أصبحتُم عبيدَ اللَّهازِم[1]

وقال المعَقِّر البارِقي: [من الطويل]

أَمِن آلِ شَعثاءَ الحُمولُ البَواكرُ ... مع الصُّبح أم زالَتْ قُبَيلُ الأَباعِرُ
وحلَّتْ سُليمى[2] في هِضابٍ وأيْكةٍ ... فليس عليها يومَ ذلك قادِرُ
وصَبَّحها أملاكُها بكتيبةٍ ... عليها إذا أمسَتْ من الله ناظِرُ
معاويةُ بنُ الجَوْن ذُبْيانُ حولَه ... وحسَّانُ في جَمْع الرِّباب مُكاثِرُ

(١) العقد ٥/ ١٤٣، وهما في النقائض ٤٠٩ـ٤١٠.

(٢) في النسخ: فحلت وجالت، والمثبت من العقد ٥/ ١٤٤، والنقائض ٦٧٦، والأغاني ١١/ ١٦٠.

وقد زحفَتْ دُوْدانُ تَبغي ثُؤورَها ... وجاشت تميمٌ كالفحول تُخاطِرُ
وقد جمعوا جمعاً كأنّ زُهاءَه ... جَرادٌ هَفا في هَبْوةٍ مُتَطايرُ
ومرُّوا بأَطنابِ البيوتِ فردَّهم ... رجالٌ بأطرافِ البيوت مَساعرُ
فباتوا لنا ضَيفاً وبتْنا بنِعمَةٍ ... لنا مُسمِعاتٌ بالدُّفوف وسامِرُ
وصبَّحهم عند الشُّروق كتائبٌ ... كأركان سَلْمى سَيرُها مُتواتِرُ
كأن نَعامَ الدَّوِّ باض عليهم ... وأعينُهم تحت الحَبِيك خَوازِرُ
أظنَّ سَراةُ القوم أنْ لن يُقاتِلوا ... إذا دعمت بالصدر[1] عَبْسٌ وعامرُ
ضَربْنا حَبيكَ البَيْض في غَمْر لُجَّةٍ ... فلم يَنْجُ في النَّاجِين منهم مُفاخِرُ

ومنها:

فأَلقَتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى ... كما قَرَّ عيناً بالإياب المُسافرُ

وقيل: إن هذا البيت لراشد بن عبد رَبّه، وكان رسول الله ﷺ قد ولّاه المظالمَ بنَجران، فقال: [من الطويل]

صحا القلبُ عن سَلْمى وأَقصَر شَأْوُه ... ورَدَّت عليه ما بَعَتْه[2] تُماضِرُ
وحَلَّمَه شَيبُ القَذال عن الصِّبا ... وللشَّيبُ عن بعض الغِوايةِ زاجرُ
فأقصر جَهلي اليوم وارتَدَّ باطلي ... عن اللّهو لمّا ابيضَّ مني الغَرائرُ
وخبَّرها الواشون أنْ ليس بينها ... وبين قُرى بُصرى وحوران كافرُ

فأَلقَتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى... البيت

ومنها **يوم جَدُود**، وهو موضع فيه ماء يُسمّى الكُلاب، كان الحَوْفَزان بنُ شَريك على بني سعد، طعنه قيسُ بن عاصم فبقي الحوفزان أياماً ومات.

وقال أبو عبيدة: غزا الحوفزان وهو الحارث بن شَرِيك، فأغار على مَنْ بالقاعةِ من بني سعد بن زيد مَناة، فأخذ نَعَماً وشاءً، وأخذ الزَّرقاء من بني رُبيْع بن الحارث، فأُعْجِبَ بها، وأُعْجِبت به، فلم يتمالك أن وَقعَ عليها، فلما انتهى إلى جَدود منعتْه بنو يَربوع أن يَرد الماء، ورئيسُهم عُتيبة بنُ الحارث بن شهاب فقاتلهم، فلم يكن له بهم

(١) كذا، وفي المصادر: إذا دُعيت بالسفح.
(٢) العقد ٥/ ١٤٦ و٢٨٦، قوله: بعته؛ أي: أصابت منه، انظر اللسان، والتاج (بعو).

طاقةٌ، فصالحهم على أن يُعطيهم بعضَ الغنائم. ووَرد الماء، وأجازوه ومَن معه من بَكْر[١]، وبلغ قيسَ بن عاصم فركب في آثارهم، ومعه بنو سعد، وقال: [من الطويل]

جَزى الله يَرْبوعاً بأسوأ سَعيِها ... إذا ذُكرت في النّائباتِ أُمورُها
ويومَ جَدُودٍ قد فَضحتُم أباكُمُ ... وسالمْتُم والخيلُ تَدمى نُحورُها[٢]

فأدركه قيسٌ وقد أَرْدَفَ الزَّرقاءَ خلفَه على فرسه، وعَقَدَ شَعْرها بصدره، فناداه قيسٌ: يا [أبا] حِمار أنا لك خير من البيداء والعطش، فقطع قرونَ الزَّرقاء وأَلْقاها عن الفرس، وأدركَه قيسٌ فطعنه فأصاب وَرِكَه، ومضى، فمات بعد أيام، وَردَّ قيسٌ الزَّرقاء إلى بني رُبَيع، وفيه يقول سَوَّار بن حيَّان المِنقريّ: [من الطويل]

ونحن حَفَزْنا الحَوْفَزان بطَعنةٍ ... سَقَتْه نَجيعاً من دم الجَوْفِ أَشكَلا[٣]

ومنها **يوم الحاجِزْ**، قُتِلَ فيه وائل بن صُرَيم اليَشْكُري، قتله بنو أُسَيِّد بن عمرو بن تميم، كانوا يَغْمسونه في الماء، ويقولون: [من الرجز]

يا أيُّها الماتِحُ دَلْوي دُونَكا

حتى مات، فغزاهم أخوه باعِثُ بنُ صُرَيْم، فقتل منهم مئة سَيِّدٍ من ساداتهم[٤].

ومنها **يوم حُسا**، لمّا أصاب بنو عَبْس من ذُبيان يوم المُرَيْقِب، اجتمعوا والتَقوا بذي حُسا، وهو وادي الصَّفا من أرض اليَعْمَريّة، فهربت بنو عَبْس خوفاً أن لا يقوموا ببني ذُبْيان فقالوا: الفِداء أو الفَناء، فأشار قيسُ بنُ زهير على الرَّبيع بن زياد أن لا يناجزَهم، وأن يعطوهم رهائنَ من أبنائهم حتى ينظروا في أمرهم، فاتفقوا أن يكون الرَّهْنُ عند سُبَيع بن عمرو، أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذُبْيان، فدفعوا إليه ثمانيةً من أبنائهم وانصرفوا.

وكان من رأي الرَّبيع مناجزتُهم، فصرفه قيس عن ذلك، وحضرت سُبَيْعاً الوفاةُ، فقال لابنه مالك بن سُبَيْع: إنّ عندك مَكرمةً لا تَبيد إن أنت حَفظتَ هؤلاء الغِلْمةَ،

(١) في العقد ٥/ ١٩٩: فصالحوهم على أن يعطوا بني يربوع بعض غنائمهم، على أن يخلوهم يردوا الماء، فقبلوا ذلك وأجازوهم.
(٢) النقائض ١٤٦ و٣٢٧، والأغاني ١٤/ ٧٩، والعقد، والأنوار ١/ ٩٣.
(٣) العقد ٥/ ٢٠١ وما بين معكوفين منه، وانظر الحاشية السابقة.
(٤) العقد ٥/ ٢١١.

وكأني بخالِك حُذيفة بنِ بدر قد جاءك، وعَصر عينيه وقال: هلك سيّدُنا، ثم خدعك حتى تدفعَهم إليه فيقتلَهم، ولا تَشْرُفُ بعدها أبداً، فلما مات سُبَيع، جاء حُذيفةُ، فخدع مالكاً، وأخذ الغِلْمة فقتلهم، فكان كل يوم يُخرج واحداً واحداً، ويقول: نادِ أباك، فيناديه، فينصبه غَرَضاً ويقتله[1].

ومنها **يوم حَليمة**، وحَليمة بنتُ الحارث بن أبي شَمِر الغساني، وكان بين الحارث وهو ملك الشام، وبين المُنذر بن ماء السماء ملك العراق، سار المُنذرُ بعرب العراق إلى الشام، فالتقيا بمشاريق الشام، وكان يوماً عظيماً لم يكن في أيّام العرب مثلُه، ارتفع الغبارُ حتى سدَّ عين الشمس، وظهرت الكواكبُ في وَسط النهار، وزاد الفريقان على أربع مئة ألف، فخرجت حليمةُ كاشفةً رأسَها في المعركة تُحرِّض النّاس.

وفي هذا اليوم للعرب أمثالٌ منها: ما يوم حَليمةَ بسِرّ، أي: ليس بمخفيّ، ومنها: لأُرينَّك الكواكبَ نهاراً، ومنها: أعزُّ من حَليمة[2].

وفي المثل: ما يوم حليمة بسرّ؛ يُضرَب لكلِّ أمرٍ متعالَم مشهور، وجَّه أبوها جيشاً إلى المُنذر بن ماء السماء، فأخرجتْ لهم طِيْباً في مِرْكَن، فطيَّبَتْهم، فنُسب اليوم إليها، وكانت الدائرةُ على المُنذر قُتل في ذلك اليوم، وانهزمت جيوشُ العراق، ولم يتبعهم الحارث، فماتوا في البرِّية عطشاً وجوعاً.

ومنها **يوم حَوْزة**، كان بين معاوية بن عمرو بن الشَّريد السُّلَمِي وبين هاشم بن حَرْمَلة أحد بني مُرَّة بن غَطفان كلام بعُكاظ، فقال له مُعاوية: والله لوَدِدتُ أني لو سمعتُ الظَّعائنَ يَندُبْنَك، فقال له هاشم: وأنا والله وَدِدتُ أني قد تَرَّبتُ الرَّطْبة، وهي جُمَّة معاوية، وكانت تَنْطِفُ دُهْناً وإن لم تُدهَن، ثم تهيَّأ معاوية ليغزو هاشماً، فقال له أخوه صخر: كأني والله بك وقد تَعلَّقَ بجُمَّتك حَسَكُ العُرْفُط، فلم ينته، وغزاهم يوم حَوْزةَ الأول، فخرج إليه هاشم وكان ناقِهاً من مرض، فقتل معاوية.

وأما اليومُ الثاني؛ فإنه لما قُتِل معاويةُ، قتل خُفاف بن نُدْبَة مالكَ بنَ حمار الفَزاري بمعاوية وقال: [من الطويل]

---

(١) العقد ٥/ ١٥٤ـ١٥٥.

(٢) الكامل ٨٣٤، وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٣٣، ومجمع الأمثال ١/ ٤٥ و٢/ ٢٧٢.

فإنْ تكُ خَيلي قد أُصيبَ صَميمُها فعَمْداً على عَينٍ تيمَّمتُ مالِكا

وكان هاشم على فرسه الشمَّاء، فوقع منها، وعادت، ومشى، فلقيه عمرو بن قيس الجُشَمي فقتله بمعاوية وقال: [من الرجز]

أنا قتلتُ هاشمَ بنَ حَرْمَلَهْ أَقتلُ ذا الذَّنبِ ومَنْ لا ذَنبَ له[1]

ومنها **يوم الخابور** بالجزيرة، قَتل فيه عميرُ بن الحُباب نُفَيْعَ بن سالم، وفيه يقول الشاعر: [من الكامل]

وَلَوَقْعةُ الخابورِ إن تكُ خِلْتَها خلقتْ فإن سَماعَها لم يخْلَقِ[2]

ومنها **يوم خَو**، فيه قَتل ذُؤاب بنُ رُبَيِّعة الأسديّ عُتَيبةَ بن الحارث بن شهاب صيَّادَ الفوارس، وسببُ ذلك:

أغارت بنو أَسد على بني يَرْبوع، فاستاقوا إبلَهم، وأتى الصَّريخُ إلى الحيِّ، فلم يتلاحقوا إلى آخر النَّهار، وجاء الليل وكان ذُؤابٌ على فرسٍ أُنثى، وعُتَيبةُ على حصان، فجعل الحصان يَستَنشق ريحَ الأُنثى في سَواد الليل، ولم يعلم عُتَيْبَة إلا وقد أُقْحم حصانُه على فرس ذُؤاب، وكان عُتَيبة قد لَبس دِرْعَه، وغفل عن جَيْبها فلم يشدَّه لِعجلته، ورآه ذؤاب، فطعنه في ثُغرة نَحْره فقتله، وشدَّ الربيعُ بن عتيبة على ذؤابٍ فأسره، ولم يعلم أنه قاتلُ أبيه، فكان عنده أسيراً، حتى فاداه أبوه رُبَيِّعةُ على إبلٍ معلومة، وأن يوافيه بها إلى سوق عُكاظ في الأشهُر الحُرُم، ويوافيه الربيع بذؤاب، وأقبل رُبَيِّعةُ بالإبل، وشُغِل الربيعُ فلم يَحضر بالأسير، فلم يشكَّ أبوه أنهم قد قتلوه بعتيبة، فقال يرثيه بأبيات منها: [من الكامل]

إن يَقتلوك فقد ثَلَلْتَ عُروشَهم بعُتَيبةَ بنِ الحارث بن شِهابِ[3]

وسمعه رجل من يَرْبوع، فجاء إلى بني عُتَيبة فقال: هل تدرون من قتل أباكم؟ قالوا: لا، قال: ذؤابٌ أسيركم، وأنشدهم الشعر، فقالوا له: أنت قاتلُ أبينا، فقال: لا والله، لا أَقَرَّ عيونكم بها، فأخرجوه فقتلوه.

---

(١) العقد ٥/ ١٦٥ـ١٦٦، وبيت خفاف في ديوانه ٤٨٤ (شعراء إسلاميون).

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٤٣٥، وفيه أن المقتول عمير بن الحُباب، والشاعر نفيع بن سالم.

(٣) العقد ٥/ ٢٤٩، وأمالي القالي ٢/ ٧٢، وشرح ديوان الحماسة ٨٤٥.

ومنها **يوم داحِس**، وهو فرس مشهور لقَيْس بن زُهَير العَبْسي، وداحِس بن ذي العُقّال، فرسُ حَوْط بن [أبي] جابر بن حَنْظَلة[1]، وكانت أمُّ داحس لقِرْوَاش بن عوف ابن عاصم، ويقال لها: جَلْوى، وإنما سُمّي: داحساً؛ لأن ذا العُقّال نزا على جَلْوى من غير علم صاحبه حَوْط، فلما علم شَقَّ عليه، وقال: والله لا أرضى حتى آخذ ماء فَحْلي، فكرهت بنو ثعلبة الشرَّ، وقالوا: دونَك ماء فَحْلك، فأدخل يده في رَحِم جلوى، ودسّها حتى كاد أن يفتح رَحِمَها، فلم يلقَ شيئاً، ونَتِجَتْ جلوى داحساً، فرآه حَوْط فقال: ابن فَحْلي، لا أتركُه، فكرهوا الشرّ، فبعثوا به إليه ومعه قلائص، فاستحيا، فردَّه عليهم.

وتلخيصُ القصة: أنه كان من حديث داحِس والغَبْراء، أن رجلاً من بني عَبْس يُقال له: قِرْواش بن هُنَيّ بارى حَمَل بن بدر، فقال: داحِس أجودُ من الغَبْراء، وقال حَمَل: الغَبْراء أجود، وكانت الغَبْراء لحُذَيفة بن بدر، وداحِس لقيس بن زهير، وتَراهنا على عَشْر قَلائص، فأتى قِرواش إلى قيس بن زهير فأخبره بالرِّهان، فقال قيسٌ: راهِن من شئت، وجنِّبني بني بَدر فإنَّهم قومٌ يظلمون، فقال قِرواش: قد أَوجَبْنا الرهان، فقال: والله لتُشعِلَنَّ علينا شرّاً، ثم أتى قيس حملَ بنَ بدر وحذيفةَ بن بدر، فقال: إنما أتيتُك لأُواضِعك الرِّهان عن صاحبي، فقال: لا والله، أو تجيءَ بالعَشْر قلائص، فأحْفَظ ذلك قيساً، وغضب، وتزايدا حتى بلغا مئةَ قَلُوص، ووضعا الرهان على يَدَيْ غَلّاق بن سعد أحد بني ثعلبة[2]، وجعلا الغاية مئة غُلْوَة، وجعلا الغُلْوَةَ من ذات الإصاد إلى هَضْب القَليب[3]، ثم قادوا الفرسين إلى الغاية، فجعل حَمَلُ بنُ بَدْر حَيْساً في دِلاء، ووضعه في شِعْب من شعاب هَضْب القَليب، على طريق الفرسين، وأكمن فيه فتياناً، وأمرهم إن جاء داحِسٌ سابقاً أن يَرُدُّوا وجهَه إلى الغاية، فسَبق داحس، فلما دنا من الفِتية، وثب زهير بنُ عبد عمرو فلَطم وجهَه، ورَدَّه إلى الغاية، وجاءت الغَبْراء، وعَلم

(١) في النقائض ٨٣، والأغاني ١٧/ ١٨٧: حوط بن أبي جابر بن أوس بن حميري. وما بين معكوفين منهما.

(٢) في النقائض ٨٦، والفاخر ٢٢١، والأغاني ١٧/ ١٩١، ومجمع الأمثال ٢/ ١١١: ووضعا السَّبقَ على يَدَيْ غلّاق أو ابن غلاق أحد بني ثعلبة بن سعد.

(٣) الغلوة: الرمية بالنُّشابة، وهذه أسماء مواضع.

قيس بن زهير والذي على يده الرِّهان بذلك، فقال قيس لحُذيفة: يا حُذيفة أعطني سَبَقي، وقال الذي على يده الرِّهان: يا حذيفة أعطه سَبَقه، فقد سبق داحس، فأعطاه السَّبَق، فقال قيس بن زهير[1]: [من الوافر]

كما لاقيتَ من حَمَلِ بن بدرٍ ... وإخوتِه على ذات الإصادِ
همُ فَخَروا عليَّ بغير فَخْرٍ ... وَرَدُّوا دون غايتِه جَوادي

ثم إن جماعةً من قوم حُذَيفة نَدَّموه على دَفْعه السَّبَق إلى قيس، ونهاه آخرون عن الشَّرِّ، وقالوا: إن قيساً لم يسبقك إلى مَكْرُمَة، وإنما سبقت دابَّةٌ دابةً فأبى، وبعث ابنَه مالك بنَ حُذيفة، وكنيتُه أبو قِرْفة إلى قيس يطلب منه السَّبَق، فقال له: هذا سبقي، فكيف أُعطيكم إياه، فتناول ابنُ حذيفة من عِرْض قيس وشَتمه، وأَغلظ له، وكان إلى جانب قيس رمحٌ، فطعنه فدقَّ صُلْبه، واجتمع الحيّان فأدَّوا دِيَةَ المقتول مئةً من الإبل، دفعاً للشر، فأخذها حذيفةُ، وسكن النّاس، ثم إن قوم حذيفة ندَّموه فعاد القتال بينهم، حتى تفانَوْا.

وفي هذه القصة يقول بِشر بن أُبَيّ [بن] حُمام العَبسيّ: [من الطويل]

إنّ الرِّباط النُّكْدَ من آل داحِسٍ ... أَبَيْنَ فما يُفْلِحْن يومَ رِهانِ
جَلَبْنَ بإذن الله مَقتَلَ مالكٍ ... وطَرَّحْنَ قيساً من وراء عُمانِ
لُطِمنَ على ذات الإصادِ وجَمعُكُم ... يَرَونَ الأذى من ذِلَّةٍ وَهوانِ
سيُمنَعُ منك السَّبْقُ إن كنتَ سابقاً ... وتُقْتَلُ إن زَلَّت بك القَدمانِ[2]

وحَمَل الحارث بنُ عَوف المُرِّي الدماءَ بين القبيلتين، وصالح بين عَبْس وذُبيان، فقال قيسٌ: والله لا نَظَرْتُ إلى غَطَفانيّة، قَتلتُ أباها أو أخاها، ومضى إلى عُمان فأقام ببُرْقَة عُمان حتى مات.

ومنها **يوم الذَّنائب**، ظفر دُرَيد بن الصِّمَّة فيه بغَطَفان، فأخذ ثأرَ أخيه عبد الله، وفيه يقول: [من الطويل]

---

(١) في النسخ: زهير بن قيس، وهو خطأ، والبيتان في النقائض ٩٠ـ٩١، والفاخر ٢٢٠، والأغاني ١٧/ ١٩٨، والعقد الفريد ٥/ ١٥٠، ومجمع الأمثال ٢/ ١١١.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤٥٠، وللتبريزي ٢/ ٢، ونسبها ياقوت في معجم البلدان (الإصاد) ١/ ٢٠٥ إلى بدر بن مالك بن زهير. الرباط: الخيل المربوطة، النكد: جمع أنكد، القليل الخير، وقوله: أبين فلا يفلحن، دعاء على داحس ونسله.

جَزيْنا بني عَبْسٍ جَزاءً مُوَفَّراً بمقتلِ عبد الله يومَ الذَّنائبِ
ولولا سَوادُ الليلِ أَدْرَكَ رَكْضُنا بذي الرِّمْثِ والأَرطى عِياضَ بنَ ناشبِ
قَتَلْنا بعبد الله خيرَ لِداته ذُؤابَ بنَ أسماءَ بن زيد بن قارب

وبلغ قوله عبد الملك بن مروان، فقال: كاد ينسُبه إلى آدم، وليت أن الشمس لم تَغب له قليلاً حتى يُدركَه.

وقالت رَيحانة أمُّ دريد: يا بُني إن عَجزت عن أخذ الثأر ممن قتل أخاك، فاستعن بأخوالك من زبيد، فأنف من كلامها، وغزاهم بنفسه، فأَسر ذؤابَ بنَ أسماء، وجاء به إلى فِنَائها فقتله بعبد الله ابنها[1].

ومنها **يوم الرَّقَم**، عُقِر فيه قُرْزُل فرسُ عامر بن الطُّفَيل[2].

قال أبو عبيدة: أغارت بنو عامر على بلاد غَطَفان بالرَّقم، وعلى بني مُرَّة عامرُ بن الطُّفَيل، فركب عُيينة بن حِصْن في بني فَزارة، ويزيد بنُ سِنان في بني مُرَّة، والتقَوا فانهزمت بنو عامر، وجعل عامر بن الطُّفيل يقول: [من الرجز]

يا نفسُ إن لم تُقتلي تموتي هذي حِياضُ الموتِ قد صَليتِ[3]

فيقال: إن غَطَفان أصابت من بني عامر أربعةً وثمانين رجلاً فقتلوهم، وانهزم الحكم بن الطُّفَيل في نفرٍ من أصحابه فعطشوا، فخنق الحكمُ نفسَه تحت شجرة خوفاً من المُثْلة، فقال فيه عُروة بن الوَرْد: [من الطويل]

عَجِبتُ لهم إذ يَخنُقون نفوسَهم ومَقتلُهم تحت الوَغى كان أَعذَرا[4]

ومنها **يوم الزُّوَيْرَين**، وهما جَملان مَقرونان. أغارت بنو تميم على بَكْر، وأقبلتْ بجمَلَين مَقْرونَين، وقالوا: لا نُولّي حتى يولِّي هذان الجملان، واقتتلوا، فانهزمت بنو

(١) هذا الخبر عن يوم الصلعاء لا الذنائب، انظر العقد ٥/ ١٧٢، ومعجم البلدان ٣/ ٤٢٢، والأبيات في الأصمعيات ١١١، والخبر والأبيات في الأغاني ١٠/ ١٣، وديوان دريد ٢٧.

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٤٤٠، وعنه نقل، وإنما اسم فرس عامر بن الطفيل المعقور: كلب، وقرزل اسم فرس الطفيل بن مالك، والد عامر، انظر شرح المفضليات للأنباري ١/ ٦٢، ونسب الخيل لابن الكلبي ٤٩، وأسماء خيل العرب لابن الأعرابي ٦٣، وللغندجاني ١٩٨.

(٣) شرح المفضليات ١/ ٦٢، والعقد الفريد ٥/ ١٦٠، وتروى لعبد الله بن رواحة في السيرة ٢/ ٣٧٩.

(٤) ديوانه ٨٢.

تميم، وأخذت بَكْر الجملين فنحروهما، وأكلوهما.

قال شاعرهم: [من البسيط]

نحن الذين هَزَمْنا يوم صَبَّحنا جيشَ الزُّوَيْرَين في جمع الأحاليفِ[١]

ومنها **يوم السُّوبان**، أغارت بنو عامر على تميم وضَبَّة، وكان على ضَبَّة حسَّان بن وَبرة، أخو النّعمان بن المُنذر لأمّه، فأسره يزيد بنُ الصَّعِق، وانهزمت تميم، وفدى حسّان نفسَه بألف بعير، وهي ديَةُ المُلوك، وكان عامر بنُ مالك بن جعفر يَنتقل من سَرْج الفرس إلى جانبه، ومن جانبه إلى ظهره، فسُمِّي ملاعب الأَسِنَّة[٢].

ومنها **يوم الشَّقيقة**، كان بِسطام بن قيس قد أغار على بني ضَبَّة، فاسْتاق ألفَ بعير لمالك بنِ المُنْتَفِق الضَّبِّي، وكان مالك في الإبل، فرَكض فرسَه، وأنذرَ قومَه، فركبوا وركب فيهم عاصم بنُ خَليفةَ الصّباحي، فقال عاصم: مَن رئيسُ القوم؟ قالوا: بِسطام ابن قيس، وأشاروا إلى بسطام، وكان على فرسٍ أَدْهَم، فحمل عليه عاصم، فطعنه في أُذنه فأنفَذَه. ووَلَّتْ بنو شيبان، فهم بين قتيلٍ وأسير، وجريح وكسير، وأُسِر بجاد بنُ قيس أخو بِسطام، وقتلوا تسعين من أعيان بني شَيبان[٣]، وكان بِسطام عظيماً في بني شيبان، وفيه يقول عبد الله بنُ عَنَمة الضَّبِّي: [من الوافر]

لك المِرْباعُ منها والصَّفايا وحُكمُكَ والنَّشيطَةُ والفُضولُ[٤]

المِرْباع: ما يأخذُه الرئيس، وهو رُبع الغنيمة. والنَّشيطة: ما يَغنمُه الغُزاةُ في الطريق قبل البلوغ إلى المَوضِع الذي قصدوه، والفُضول: ما يَفضُل من السَّبْي.

وكان عاصم بن خليفة يُضعَّفُ في عقله، زار يوماً أمَّه وبيده حديدة، وهو يصْقُلُها، فقالت له: ما تصنعُ بها؟ قال: أصقُلُها لأقتُلَ بها بِسْطام بن قيس، فقالت مستخفةً به: اسْت أمِّك أضيقُ من هذا.

وأدرك عاصم أَوَّلَ الإسلام فأسلم. وكان إذا طلب الإذن على عُمر رضي الله عنه، يقول:

---

(١) العقد ٥/ ٢٠٦.

(٢) العقد الفريد ٥/ ١٧٧.

(٣) في النقائض ٢٣٥، والعقد ٥/ ٢٠٣: وأسر بنو ثعلبة بجادَ بنَ قيس في سبعين من بني شيبان.

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٠٢٤، والنقائض٢٣٦، والعقد ٥/ ٢٠٤.

ائذنوا لعاصم قاتل بِسْطام، يفتخر بذلك.

ومنها **يوم الشَّيِّطين**، كان في أوّل الإسلام، سارت بكر إلى السَّواد، وقالوا: نُغير على تميم، فإن في دين ابنِ عبد المُطَّلب: مَن قتل نَفْساً قُتل بها، فنشنُّ هذه الغارة ثم نُسلِم، فساروا من لَعْلَع إلى الشّيّطين في أربع ليال، وبينهما مسيرة أيام، فسبقوا أخبارهم، وصبّحوا بني تميم وهم غارُّون، فقتلوا فيهم قَتْلاً ذَريعاً، فيقال: إنّهم قتلوا منهم ست مئة رجل، وسَبَوْا، واستاقوا الأموال، ثم بعثوا وافِدَهم إلى رسول الله ﷺ، وأسلموا بعد ذلك[1].

ومنها **يوم عاقل**، قُتِل فيه خالدُ بن جعفر، وذلك لأن خالداً وعُروة الرَّحّال قَدِما على الأسود بن المُنذر أخي النّعمان، وعند الأسود الحارثُ بنُ ظالم الذُّبياني، فوضع الأسود بين أيديهم تمراً على نِطْع، وجلسوا يأكلون، فقال خالد للحارث: يا حارث، لي عندك يدٌ، قتلتُ سيّدَ قومك زهيراً وتركتُك، وكان مع زهير يوم قُتِل، وجعل خالد يكرّر عليه القول، فقال الحارث: سأُخبِرك بشُكْر ذلك[2]، ثم قام الحارث وخرج، فقال الأسود لخالد: ما دعاك إلى أن تتحرّشَ بهذا الكلب وأنت ضَيْفي؟ فقال خالد: إنما هو عبدٌ من عبيدي، ولو رآني نائماً ما أيقَظني، وانصرف خالدٌ إلى قُبَّته، ولامه عُروةُ الرَّحّال، وناما فلما هدأت العُيون، أخرج الحارث ناقتَه، وقال لخراش: كن لي بمكان كذا، فإنْ طلع كوكبُ الصُّبح، ولم آتك، فاذْهب حيثُ شِئتَ، ثم دخل القُبَّة، فقتل خالداً وخرج، وانزعج عروةُ الرَّحّال، وصاح، فاجتمع الناس، وهرب الحارث، وبلغ الأسود، وعنده امرأةٌ من بني عامر، يقال لها: المُتَجرِّدة، فشقَّت جيبَها وصرخت، فقال عبد الله بن جَعْدة يرثيه: [من الكامل]

شَقَّت عليه العامريَّةُ جَيبَها ... أسفاً وما تبكي عليه ضَلالا
يا حارِ لو نَبَّهتَه لوجدتَه ... لا طائشاً رَعِشاً ولا مِعْزالا
ولَنَقتُلَنَّ بخالدٍ سَرَواتِهم ... ولنجعلَنْ للظالمين نَكالا

ومنها **يوم الغَبيط**، ويُقال له: يوم الثّعالب، غزا بِسْطام بن قيس، ومفروق بن عمرو، والحارث بن شَريك، وهو الحَوْفَزان، بلادَ بني تميم، فأغاروا على بني ثَعْلبة ابن يَرْبوع، وثعلبة بن سعد بن ضَبَّة، وثعلبة بن عَديّ بن فَزارة، وثعلبة بن سعد بن

(١) النقائض ١٠٢٠، والعقد ٥/٢٠٦، قوله: غارون: غافلون.

(٢) في العقد ٥/١٣٨: سأجزيك شكر ذلك.

ذبيان، وكانوا متجاورين بصحراء فَلْج، فاقتتلوا، فانهزمت الثّعالب، وساقوا أموالَهم، ولم يشهدْ عُتَيبة بنُ الحارث بن شهاب هذه الوقعةَ، لأنه كان نازلاً في بني مالك بن حَنْظلة، ثم أغار بِسْطام بن قيس وأصحابه ـ في وجههم ذلك ـ على بني مالك بن حَنْظَلة، وهم بصحراء فَلْج والغَبيط، فأخذوا إبلَهم، فركب عُتيبة بن الحارث بن شِهاب وراءهم في بني مالك، ومعه فرسان بني يَرْبوع، فأدركهم بغَبِيْط المَدَرة فقاتلوهم، فظهروا عليهم، ولحق عُتيبةُ ببسطام بن قيس، فقال له: اسْتَأْسِر أبا الصَّهباء، فأنا لك خيرٌ من الفَلاة والعطش، فقال: من أنت؟ فقال: عتيبةُ بنُ الحارث، فاستأسر له، ففَدى نفسَه بأربع مئة بعير، وثلاثين فرساً، وكان عظيمَ القَدْر، لم يكن عربيٌّ عُكاظيٌّ أعلى منه قَدْراً، وجَزَّ عتيبةُ ناصيتَه، وعاهده أن لا يغزوه أبداً، وردَّ عُتيبةُ الأموالَ والسَّبايا، وقال: [من البسيط]

أَبْلِغْ سَراةَ بني شَيبانَ مَأْلُكَةً ... أنِّي أَبَأْتُ بعبد الله بِسْطاما
قاظَ الشَّرَبَّةَ في قَيْدٍ وسِلْسِلةٍ ... صوتُ الحديد يُغنّيه إذا قاما[1]

ومنها **يوم قُحقُح**[2]، لبني يَرْبوع على بكر، قَتل المِنهالُ بنُ عِصْمَة المُجَبَّه بنَ ربيعة، فقال ابن نِمْران الرِّياحيّ: [من الكامل]

وإذا لَقيتَ القومَ فاطعنْ فيهمُ ... يومَ اللِّقاء كطعنةِ المِنهالِ
تَرك المُجبَّهَ للضِّباع مُجَنْدلاً ... والقومُ بين سَوافلٍ وعَوالِ

ومنها **يوم فيحان**، لما فدى نفسَه بِسطامُ بنُ قيس من عُتيبةَ بأربع مئة ناقة، وثلاثين فرساً، قال وَلَده: لأُدركنَّ بثأر أبي، فأغار فأَسر الربيعَ بن عتيبة، واسْتاق مالَه، فلما سار يومين، اشتغل ابنُ بِسطام عن الربيع بالشُّرْب، وكان الربيع قد بال[3] على قِدّه حتى لان، فحَلَّه وركب [ذات] النُّسوع[4] ـ فرسَ بِسْطام ـ وهرب، ونذروا به فركبوا خلفه، فلم يدركوه، وجاء إلى الحيّ فنزل عن الفرس، فماتت في الحال، فدَفنها،

(١) النقائض ٧٦ و٣٦٥، والعقد ٥/ ١٩٧، الشربة: موضع، وقاظ: أقام زمن القيظ، والمألكة: الرسالة، وأبأت: عاقبت.

(٢) لم تجود الكلمة في النسخ، والمثبت من العقد ٥/ ١٩١.

(٣) في العقد ٥/ ٢١٠: مال.

(٤) في النسخ: وركب الشموع، والمثبت من العقد ٥/ ٢١٠، وأسماء خيل العرب لابن الأعرابي ٧٧، وللغندجاني ١٠٤.

فسُمّي ذلك المكان: قبر[١] الفرس، وأخلف له أبوه مالَه.

ومنها **يوم قِضَة**، وهو من حرب البسوس، كانت بَكْر قد قتلت بُجَير بنَ الحارث بن عُباد، فخرج أبوه في قبائل تَغْلب، يطلب ثأرَ ابنه من بَكْر، وكان له فرسٌ يقال لها: النَّعامة، فقال: [من الخفيف]

قَـرِّبـا مَـرْبَـطَ الـنَّـعـامـة مـنِّـي ... لَـقِـحـتْ حـربُ وائـلٍ عـن حِـيـال[٢]

وركبها، وكان معه مُهَلْهِل التغلبي والتقوا، فانهزم الحارث بن عباد، فنجا، وهرب مُهلهل، فنزل على جشم في مكان يقال له: جَنْب، فخطبوا إليه ابنتَه، فأبى، فساقوا إليه المَهْر، وفيه جلود من أَدَم، فقال: [من المنسرح]

أَعـزِزْ عـلـى تَـغْـلـب بـمـا لَـقِـيَـتْ ... أختُ بـنـي الأكـرمـيـن مـن جُـشَـمِ

أَنـكـحـهـا فَـقـدُهـا الأراقـمَ فـي ... جَـنْـبٍ وكـان الـحِـبـاءُ مـن أَدَمِ

لـو بـأبـانَـيْـن جـاء يـخـطُـبُـهـا ... زُمِّـل مـا أَنْـفُ خـاطـبٍ بـدَمِ[٣]

ومنها **يوم قَطَن**، وهو من أيام عَبْس وذُبيان، وذلك لأن عَبْساً لما مَثَّلوا بحُذيفة بنِ بدر يوم الهَباءة، أعظمت غَطَفانُ ذلك، وتجمّعت، وعلمت بنو عَبْس أنهم لا طاقةَ لهم بهم، فرحلوا عنهم فنزلوا اليمامةَ على أَخْوالهم من بني حَنيفة، ثم رحلوا عنهم، فنزلوا على بني سَعْد بن زيد مناة، فغدر بهم بنو سعد، واستجاشوا عليهم بمعاوية بن الجَوْن[٤]، ورحل بنو عَبْس عنهم لما علموا بذلك، وقدَّموا ظُعُنَهم، ووقفت فرسانُهم بمكان يقال له: الفَروق، وأغارت بنو سَعْدٍ عليهم ومن معهم من جنود المِلك ابنِ الجَوْن، فلم يجدوا في منازلهم إلا مَواقِد النار، فاتَّبعوهم إلى الفَروق، وإذا بالفرسان

(١) في العقد: هَبير. وهو ما اطمأن من الأرض.

(٢) الأصمعيات ٧١، وتخريجها ثمة.

(٣) هذا السياق فيه أكثر من خطأ، فالحارث بن عباد من بني بكر، ومهلهل بن ربيعة كان رأس تغلب وسيدها في حروبها ضد بني بكر، ولم يكن مع الحارث، وإنما أسره الحارث بن عباد البكري، ولم يكن يعرفه، ثم أطلقه. انظر الشعر والشعراء ١/ ٢٩٨، والكامل للمبرد ٢/ ٧٧٥، والأغاني ٥/ ٤٧ـ٥١، والعقد الفريد ٥/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢، وديوان الحارث ١٣٠.

(٤) استجاشوا: طلبوا منه جيشاً.

والرّجّالة والظُّعُنِ، فانصرفوا عنهم، ومضى بنو عَبْس إلى بني ضَبَّة فأقاموا فيهم[١]، ثم رجعوا إلى قومهم بني ذُبيان فصالحوهم، ثم جرى بينهم أمرٌ فالْتَقَوا، ثم اصطلحوا.

وسببُ ما جرى بينهم أن حَرْمَلَة بن الأَشْعَر بن صِرمَة بن مُرَّة سعى لهم في الحَمالة بينهم، فمات، فسعى ابنُه هاشم بن حَرْملة، فلما توافقوا على الصلح، وقفت بنو عَبْس بقَطَن، فأقبل حُصين بن ضَمْضَم، فطعن تَيْحان المخزومي، فقتله بأبيه ضمضم، فقالت بنو عبس: لا نصالحهم أبداً، والتقوا بقطن، فسفر بينهم السُّفَراء، فاصطلحوا.

ومنها **يوم الكَدِيْد**، قُتل فيه ربيعة بنُ مُكَدَّم فارس كِنانة، قتلته بنو سُلَيم، وهو من بني فِراس بن غَنْم، وهو أنْجد العرب، كان الرجل منهم يُعَدّ بعشرة من غيرهم، وقد مدحهم عليٌّ عليه السلام، فقال: يا أهل الكوفة، وَدِدتُ والله أن لي بجميعكم، وأنتم مئةُ ألف، ثلاثَ مئة من بني فِراس بن غَنْم.

وكان يُعْقَر على قبر ربيعة بن مُكَدَّم في الجاهلية، ولم يُعْقَر على قبر أحدٍ سواه[٢].

ومنها **يوم الكُلَاب الأول**، لما غلب سُفهاء بَكْر بن وائل على كُبَرائها، اجتمع رؤساؤهم، وقالوا: الرأي أن نُمَلِّكَ علينا ملِكاً يُنْصِفُ المظلومَ من الظالم، ويَردعُ القويَّ عن الضعيف، فأتوا تُبَّعاً، وعَرَّفوه أمرَهم، فولّى عليهم الحارث بن عَمرو الكِنْدي، آكل المُرار، فقدم عليهم، ونزل ببَطْن عاقل، فغزا ببكرٍ، حتى انتزعَ ما في أيدي ملوك الحيرة اللَّخميِّين، وما في أيدي الغسَّانيين، وردَّهم إلى أقصى أعمالهم، ثم طُعِنَ في بطنه ببطن عاقل، فمات.

وخلّف ابنيه شُرَحْبيل وسلمة، فاختلفا [في المُلك] وتواعدا الكُلاب، وأقبل شُرَحبيل في ضَبَّة والرِّباب وبني يربوع وبكر بنِ وائل، وأقبل سَلمةُ في النَّمِر[٣]، ومالك ابن حنظلة، وعليهم سفيان بن مُجاشع، وتَغلب، وعليها السَّفَّاح لأنه سفح أَسْقِيَةَ قومه، وقال: اسبقوهم إلى الكُلاب، فسبقوا ونزلوا عليه، والتقوا واستحرَّ القتلُ في

(١) في النسخ: فصالحوهم، والمثبت من العقد ٥/ ١٥٨، وقد جمع المصنف هنا بين يومي قطن والفروق، وانظر النقائض ٤٢٠.

(٢) العقد ٥/ ١٧٤، وانظر الأنوار ١/ ١١٣.

(٣) في النسخ: اليمن، والمثبت من العقد ٥/ ٢٢٣ وما بين معكوفين منه.

بني يربوع، فشدَّ أبو حَنش على شُرحبيل فقتله، وكان شُرحبيل قد قتل ابنَه حَنشاً، وبعث أبو حَنش برأس شُرحبيل إلى سلمة مع عَسيف له، وخاف أبو حَنش من سلمة أن يَحمله بنفسه، فلما حصل الرأسُ بين يَدَيْ سلمة، دمعت عيناه وقال للعَسيف: أنت قتلتَه؟ قال: لا، وإنما قتله أبو حَنش، فقال سلمة: أنا أدفع الثَّواب إلى قاتِله، وجاء العَسيفُ فأخبر أبا حنش، فخاف فهرب، فقال سلمة: [من الوافر]

تَعلَّم أن خيرَ الناسِ طُرّاً ... قتيلٌ بين أحجارِ الكُلابِ
تَداعتْ حوله جُشَمُ بنُ بَكرٍ ... وأسلَمَه جَعاسيسُ الرِّبابِ[1]

وأما **الكُلاب الثاني**: أغار بنو تميم على لَطِيمة[2] لكِسْرى، فيها مِسْك وعَنْبر وجوهر كثير ومالٌ عظيم، فأخذوها، فأوقع بهم كِسْرى في هَجَر، فأخذ الأموال وسبى الذُّريّة، فاجتمع رؤساؤهم: أَكثم بن صَيْفي الأُسيِّدي، وقيس بن عاصم المِنْقري، والزِّبْرقان بن بدر السَّعدي وغيرهم، وقالوا: قد أَغْضبنا الملك، ولا نأمن ذِئاب العرب أن تتخطَّفنا، فماذا ترون؟ فمسح أكثم بن صيفي يده على صدره وقلبه وقال: إني قد نَيَّفْت على التسعين، وإنما قلبي مُضْغةٌ من جَسدي، وقد نحل كما نحل جسدي، وأخاف أن لا يُدركَ ذهني الرأيَ لكم، فاعرضوا عليَّ آراءكم، فإني متى ما أسمع الحَزْمَ أعرفه، فقال النُّعمان بن جِساس: الرأي أن تنزلوا الكُلاب، وتنظروا في أمركم، ولا تُخبروا أحداً بحالكم، فقال أكثم: هذا الرأي فاكْتُموه، وساروا إلى الكُلاب فنزلوه، وبين أدناه وأقصاه مسيرة يوم، [وأعلاه] مما يلي اليمن، وأسفله مما يلي العراق، فنزلت سعدٌ والرِّباب بأعلى الوادي، ونزلت حَنْظلة بأسفله.

وكانوا لا يُغيرون في القَيْظ لبُعْد المسافات، وقِلّةِ المياه بها، وشِدَّة الحرّ، فأقاموا مكانهم، ولم يَعلم بهم أحد، فلما انقضى القَيْظ مَرَّ بهم رجل من هَجَر، فرأى الشاء والنَّعم، فرجع إلى ملوك هَجَر فقال: هل لكم في جارية عَذْراء، ومُهْرة سوداء[3]، وبَكْرةٍ حمراء ليس دونها مانع؟ قالوا: وكيف؟ قال: تميم بقِدَّة، مُطَرَّحين غارّين، فسار

(١) النقائض ٤٥٥، والعقد ٥/ ٢٢٣، والأغاني ١٢/ ٢١٢، والأنوار ١/ ٢١٦، والجعاسيس: جمع جُعسوس، القصير الدميم.

(٢) اللطيمة: القافلة التي تحمل البَزَّ والطيب. فقه اللغة ١/ ٤٩.

(٣) في «العقد» ٥/ ٢٢٥: شوهاء، وهي الطويلة الرائعة.

إليهم أربعةُ أَملاك يُقال لهم: اليزيديّون، وهم: يزيد بن عبد المَدَان، ويزيد بن المأمور، ويزيد بن هَوْبر، ويزيد بن المُخَرّم، ومعهم عبد يغوث الحارثي، وساروا حتى إذا كانوا ببلاد باهِلَة، قال جَزْء بن جَزْء الباهلي لابنه: يا بُنيّ، هل لك في أُكرومة لا يُصاب مثلُها؟ قال: وما هي؟ قال: هذا الحيُّ من تميم، قد لجأوا إلى هذا المكان خوفاً من العرب، وهذا الجيش يأخذهم، فارْكَبْ جملي الأَرْحَبيّ، وسِرْ سيراً رويداً، عُقْبَةً من الليل، ثم أَنِخْه وحُلَّ حَبْلَه، وتوسَّد ذِراعَه، فإذا سمعتَه قد أفاض بجِرَّته[1]، فشُدَّ حبلَه، ثم احْمِلْ السَّوط عليه، فإنك لا تسأله شيئاً من السَّير إلا أعطاكه، فحَذِّر القوم من الجيش، وكان جيشاً عظيماً، لم يجتمع مثله إلا في يوم ذي قار ويوم جَبَلة ويوم الحارث بن أبي شَمر الغَسَّاني، ففعل ابنه ما أمره، ووافاهم قُبَيْل الصُّبح، وصاح يا صباحاه، وحَذَّرهم الجيش، ودَهَمَهُمْ القَوْم، فساقوا النَّعَم، وإذا قد أقبل رجل منهم ينادي: واصباحاه، قالوا: ما الخبر؟ قال: أُتِيَ على النَّعم، وكَرَّ راجعاً نحو الجيش، ولقيه عبدُ يَغُوث الحارثي فطعنه على رأس مَعِدَته، فسبق اللَّبَنُ الدمَ، ثم تقدم عبد يَغُوث إلى الجيش وقال لهم: يا قوم أطيعوني، وامْضُوا بالنَّعَم، وخَلّوا عجائزَ تميم ساقطةً أفواههن، فقالوا: لا بُدَّ من نكاح بناتهن، فقال ضَمْرةَ بنُ لبيد المَذْحجيّ الكاهن: انظروا إذا سُقتم النَّعم، إنْ أتتْكُم الخيلُ عُصَباً ـ العصبة تنتظر الأخرى حتى تلتحق بها ـ فإن أمرهم هَيِّن، وإن لحقوكم فردُّوا النَّعمَ ولم ينتظر بعضُهم بعضاً، فإنّ الأمرَ شديد[2].

وتقدمت سعد والرِّباب في أوائل الخيل، فالتَقَوا بالقوم ولم يلتفتوا إليهم، واستقبلوا النَّعم، ولم ينتظر بعضهم بعضاً، ورئيسُ الرِّباب النُّعمان بن جِساس[3]، ورئيس سعد قيس بن عاصم، والتقى القومُ، فكان النّعمانُ أولَ قتيل؛ طعنه عبد يغوث الحارثي فقتله[4]، وحَجَزَ بينهم الليلُ، وأصْبحوا على راياتهم، وتنادَوْا، واعْتَزَتْ كلُّ

(١) ما يخرجه البعير فيأكله ثانية، من الاجترار.

(٢) في العقد ٥/ ٢٢٦: وإن لحق بكم القوم ولم ينتظر بعضهم بعضاً حتى يردوا...

(٣) في (خ) و(ك): الحسان، وفي (ب): الجساس.

(٤) في النقائض ١٥١، والأغاني ١٦/ ٣٣١ أن الذي قتله عبد الله بن كعب من بني حنظلة، وفي الكامل لابن الأثير ١/ ٦٢٤ أن الذي قتله يزيد بن شداد الحارثي.

طائفة، فنادى قيس بن عاصم: يا آل سعد، ونادى عبد يَغُوث: يا آل سعد، وقيس ينادي بسعد بن زيد مَناة، وعبد يَغُوث ينادي بسعد العشيرة، ونادى قيس بن عاصم: يا آل مقاعس، وكان وَعْلة بن عبد [الله] الجَرْمي بيده لواءُ اليمن، فلما سَمِعَ صوت قيس، طرح اللواء وانهزم القوم، وصاح قيس: يا بني تميم لا تقتلوا إلا فارساً، فالرجّالة لكم، فتبعوهم يقتلون ويأسرون، وأَسر عِصْمةُ بن أُبَير عبدَ يَغوث الحارثي، وكان عصمةُ غُلاماً، فوضع عَبْدَ يغوث عند الأَهْتَم، وكانت عنده امرأتُه العَبْشَميّةُ، فأعجبها خَلْق عبد يغوث وجمالُه، فقالت: مَن أَسر هذا؟ فقال: أسرني عِصمة، فقالت: من أنت؟ فقال: سيد القوم عبد يغوث، فضحكت، وقالت: قَبَّحَك الله من سَيِّدٍ أسره مثل هذا الغلام، واجتمعت الرِّباب إلى الأهتم، وقالوا: ثَأْرُنا عندك، وكان قد قتل النّعمان ابن الجِساس ومَصاد بن ربيعة بن الحارث، فامتنع من تسليمه، وقال: لا أُسلِمُه إلا إلى مَن دَفعه إليّ، وكادت الفِتْنة أن تقع بين سعد والرِّباب، حتى أقبل قيس بنُ عاصم فضرب الأَهْتَم بقوس فهَتَمَه، فسُمي الأهتم، وأَتَوا عِصْمة، فقالوا: ثأرُنا عندك، قتل سيِّدنا النعمان وفارسنا مَصاد، فقال: إني مُمْلِق، وقد أصبتُ الغِنى، فباعهم إيّاه، فأخذوه فشدّوا لسانَه بنِسْعةٍ، فقال: أنتم قاتليّ لا محالة، فدعوني أنوحُ على نفسي، وأَذُمُّ أصحابي، فقالوا: أنت شاعرٌ ونخاف أن تَهجوَنا، فعاهدهم أن لا يفعلَ، فأطلقوا لسانه فقال أبياتاً منها: [من الطويل]

فيا راكباً إمّا عَرضْتَ فبَلِّغَنْ ... ندامايَ من نَجرانَ أنْ لا تَلاقِيا
وتَضحكُ منّي شيخةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ... كأنْ لم تَرى قبلي أسيراً يَمانيا

يعني امرأة الأهتم، فضربوا عُنقَه[1].

ومنها **يوم اللِّوى**، غزا عبد الله بن الصِّمَّة، واسمه معاوية الأصغر، من بني غَزِيّة، فأغار على غطفان، فأَطْرَدَ إبلاً عظيمةً، فقال له أخوه دريد: النَّجاءَ فقد ظَفِرْتَ، فقال: لا أبرحُ حتى أنحرَ ناقة، وأَطبخَ منها طعاماً لي ولأصحابي، فنحرها بمكان يقال له: اللِّوى، وقَسم الإبلَ بين أصحابه، وأَدْركه القومُ، وقُتِلَ عبدُ الله، وارتُثَّ دريد[2]، وقام

(١) العقد ٥/ ٢٢٤ـ٢٣٠، وانظر النقائض ١٤٩ ـ ١٥٤، والأغاني ١٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٤، والمفضليات ١٥٧.

(٢) حُمل من المعركة جريحاً وبه رَمَق.

من بين القتلى يمشي، فنزل على امرأة من هَوَازن فأقام عندها، فداوتْه حتى برىء، فعاد إلى أهله، وقال أبياتاً أوّلُها: [من الطويل]

أَعاذِلَ إن الرُّزْءَ في مثل خالدٍ ... ولا رُزْءَ فيما أَهلك المرءُ عن يدِ

ومنها:

أَمرتُهمُ أمري بمُنْعَرَج اللِّوى ... فلم يَسْتبينوا الرُّشْدَ إلا ضُحى الغَدِ
عَلانيةً ظُنُّوا بألفَيْ مُدَجَّجٍ ... سَراتُهمُ في الفارِسيِّ المسرَّدِ
فلمّا عَصَوْني كنتُ منهم وقد أَرى ... غَوايَتَهم وأنّني غيرُ مُهتَدي
وهل أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غَوَت ... غَوَيْتُ وإن تَرْشُد غَزيَّةُ أَرْشُدِ

ومنها:

فإن يَكُ عبدُ الله خلَّى مكانَه ... فما كان وَقَّافاً ولا طائشَ اليَدِ
قليلُ التَّشَكِّي للمصائب حافِظٌ ... من اليوم أعقابَ الأحاديث في غدِ
كَميشُ الإزارِ خارجٌ نصفُ ساقِه ... بَعيدٌ من الآفاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ
صبا ما صبا حتى علا الشَّيبُ رأسَه ... فلما عَلاه قال للباطلِ ابعُدِ[1]

ومنها **يوم مُبايض**، كانت الفرسانُ إذا كانت أيام عُكَاظ في الشَّهر الحرام، وأمن بعضُهم بعضاً، تقَنَّعوا لئلا يُعْرَفوا، وكان طَرِيف بن تَميم لا يَتقنَّع، وكان قد قَتل شَراحيل الشَّيبانيّ، فوافى سوق عُكاظ، فرآه حَمَصيصةُ بن شَراحيل، فقال: مَن هذا؟ قالوا: قاتلُ أبيك، فصار كلّما مرَّ به يتأمَّلُه، فقال له طَريف: مالك تنظرُ إليّ؟ قال: أَتوسَّمُك لأعرفك، فللّه عليَّ إن لقيتُك لأقتُلنَّك أو تقتلني، فقال طريف: [من الكامل]

أو كلّما وردتْ عُكاظَ قبيلةٌ ... بَعثتْ إليَّ عَريفَها يَتوسَّمُ
فتَوسَّموني إنني أنا ذاكُمُ ... شاكٍ سلاحي في الحوادثِ مُعْلِمُ

ومضت على ذلك مُدّة، فأغار حَمَصيصة على بني تميم وهم غارّون، فخرج إليه طريف فقتله حمصيصة، وفيه يقول الشاعر: [من الكامل]

---

(١) العقد ٥/ ١٦٨ـ١٧٠، والأبيات في الأصمعيات ١٠٧ وتخريجها ثمة. المدجّج: تام السلاح، سراتهم: أشرافهم، الفارسي المسرد: الدرع محكم النسج، كميش الإزار: مُشمّر مُجدّ، طلاع أنجد: يركب صعاب الأمور.

خاض الغَداةَ إلى طريف في الوغى حَمَصيصةُ المِعْوانُ في الهيجاءِ[١]

ومنها **يوم مَنْعِج**، قُتل فيه شَأْسُ بن زهير، وكان قد أقبل من عند النّعمان بن المنذر وقد حباه بمالٍ وطِيبٍ كثير، وفيه قَطيفةٌ حمراء ذاتُ أهداب، فورد مَنْعِج، وهو ماءٌ لغَنيّ، فأناخ راحلتَه إلى جانب الرَّدْهَة، وعليها خِباءٌ لرِياح بن الأَسَل الغَنويّ، فجعل يغتسل، وامرأةُ رِياح تنظر إليه، وهو مثل الثّور الأبيض، فرماه رياح بسهم فقتله، ونَحر ناقتَه فأكلها، وضمَّ متاعَه، وغَيَّب أثرَه، وفُقِد شأس، حتى وجدوا القطيفةَ الحمراء تُباع في سوق عُكَاظ، قد باعتها امرأةُ رياح، فطلبوا رياحاً ليقتلوه، فأفلت إلى قومه فنجا[٢].

ومنها **يوم المُرَيْقِب**، كان لبني عَبْس على فَزارة، اقتتلوا فانهزمت فَزارة، وقَتَل عوفَ بنَ بدر عنترةُ، وقَتل أيضاً ضَمْضَماً المُرِّي، وبلغ عنترة أن حُصينَ بن ضَمضم وأخاه يَتواعدانِه ويشْتُمانه، فقال: [من الكامل]

يا دارَ عَبْلَةَ بالجِواءِ تَكَلَّمي وعِمِي صباحاً دارَ عَبْلَة واسلمي

إلى أن قال:

ولقد خَشيتُ بأن أَموتَ ولم تَدُرْ للحربِ دائرةٌ على ابنَيْ ضَمضَمِ
الشَّاتِمَيْ عِرضي ولم أَشتُمهُما والنَّاذِرَيْن إذا لَقيتُهما دَمي
إن يَفعلا فلقد تَركتُ أباهما جَزَرَ السِّباع وكلِّ نَسرٍ قَشْعَمِ[٣]

ويُقال: إن عَنترة لم يَقتل عوفَ بن بدر، وإنما قتل ضَمْضَماً المُرِّي في ذلك اليوم.

ومنها **يوم النَّفْراوات**، قُتِل فيه زُهير بن جَذيمة بن رَواحة العَبْسيّ، وكانت هَوازن تؤدي إليه الإتاوَة، فجاءته عجوزٌ بعُكَّةِ سَمْن، فذاقها فلم يَرْضها، فقال: ما هذا؟ فقالت: تتابعُ السنين والقَحْط، فضربها بقوس في صَدْرها، فوقَعَتْ على ظَهْرها، وبدت عورتُها، وبلغ خالد بنَ جَعْفر الكلابي فقال: والله لأقتلنّه، ثم غزاه، فخرج زُهير إليه فقاتله، فجُرِح زهير، وأقام ثلاثة أيام لا يَسقونه ماءً خوفاً عليه، فعطش. فقال: اسقُوني، فسَقَوه فمات، فقال خالد بن جعفر: [من الكامل]

---

(١) مجمع الأمثال ٢/ ٤٤٢، وروايته: خاض العُداة... المغوار.

(٢) العقد ٥/ ١٣٣، والأغاني ١١/ ٧٥.

(٣) العقد ٥/ ١٥٣ـ١٥٤، والأبيات في ديوانه ١٨٧ و٢٢١.

وقَـتـلـتُ ربَّـهـم زُهـيـراً بـعـد مـا جَـدَعَ الأُنـوفَ وأكـثـرَ الأوتـارا
وجـعـلـتُ مَـهـرَ بـنـاتِـهـم وديـاتِـهـم عَـقْـلَ الـمـلـوكِ هَـجـائـنـاً وبِـكـارا[1]

ومنها **يوم وارِدات**، وهو من أيّام حرب البَسوس، ظهرت فيه بنو تَغْلب على بَكْر، وقتلت فيهم هَمَّامَ بن مُرَّة، أخو جَسَّاس لأبيه وأمه، فمرَّ به مُهَلهل فقال: والله ما قُتل بعد كليب قتيلٌ أعزُّ منك[2].

ومنها **يوم الوَقيط**، كان في الإسلام بين تميم وبَكْر بن وائل، تجمّعت اللّهازمُ ليغيروا على تميم وهم غارُّون، وكان ناشِبُ بن بَشامة العَنْبريّ أسيراً في بني سَعْد بن مالك، وكان أعورَ، وكان حَنْظلة بنُ الطُّفيل أسيراً في بني سعد بن مالك أو في بني العَنْبر، فقال ناشب: أعطوني رسولاً إلى بني العَنْبر، أوصيهم بصاحبكم خيراً، كما تفعلون معي من الإحسان، فقالوا: على أن تُوصيه ونحن حُضور، قال: نعم، فأحضروا رجلاً، فقال له ناشب: اذهب إلى بني العَنْبر، وقل لهم يُحسنوا إلى أسيرهم، وملأ كفَّه من الرمل، وأشار إلى الشمس، وقال: قل لهم يُعْروا جَملي الأَصْهب، ويركبوا ناقتي العَيْساء، و[يَرْعَوا] حاجتي في بني مالك، وأن العَوْسَجَ قد أَورَق، وأن النّساء قد اشتكت، ولْيَعْصوا همّام بنَ بَشَامة فإنه مَشؤوم، ويُطيعوا [هُذَيل ابن] الأَخْنَس فإنه حازمٌ مَيمون.

فمضى الرَّسولُ إليهم وأدَّى الرِّسالة، فلم يَفهموا ما قال، وقالوا: والله لا نَعرفُ له ناقةً عَيْساء، ولا جَملاً أَصهب، ومضى الرَّسول، فقال رجل من بني العَنْبَر: ويحكم! والله إنه يقول حقّاً لو فَهمتُم، أما الرَّمْلُ الذي قَبض عليه، فإنه يقول: أتاكم عدوّكم كعدد الرمل، وأما إشارتُه إلى الشمس فإنه قال: يُوافونكم عند طُلوع الشمس، وأما الجملُ الأَصْهب فهو الضَّمَّان، والنّاقة العَيْساء هي للدَّهْناء، وهو يأمرُكم أن تَحترِزوا [فيها]، وأما بنو مالك فهو يأمرُكم أن تُنذروهم، وأن تَتَمسَّكوا بالحِلف الذي بينكم وبينهم، وأما العَوْسَج فيقول: إنهم قد لَبِسُوا السِّلاح، وأما اشْتكاءُ النساء فيقول: قد عَمِلْن لهم كلَّ ما يَحتاجون إليه حتى أسقيةَ الماء، وأما هَمَّام بن بَشَامَة فكان جَباناً يَأمرُهم

(١) العقد ٥/ ١٣٥ـ١٣٧، والأغاني ١١/ ٩٠.
(٢) العقد ٥/ ٢١٩.

بالقُعود، و[هُذَيل بن] الأَخْنَس كان حازماً يأمرهم بالرَّحيل، وأنذرت بنو عَمرٍو بني مالك، فخالفوهم، وقالوا: ما نَدري ما يقول صاحبكم، وما نحن بمتحوِّلين، وصَبَّحَتْهم اللّهازمُ، فوجدوا بني عَمْرو قد ارتحلوا، فاجتاحوا بني مالك[1].

قال المصنف رحمه الله: وقد روي أن الأسير حَمّل الرسول رسالة بغير محضر من اللّهازم، وهو الأصح لأن هذا الكلام ظاهرٌ في التحذير من الرسول، فكيف كانوا يمكِّنونه من أداء هذه الرسالة.

ومنها **يوم الهَباءة**، لقيس بن زهير العَبْسي على حُذَيفة بن بدر الفَزَاري، قتله قيس في جَفْر الهَباءة، وهو مستنقعٌ بها، وقال أبو عبيدة: كانت الدائرة لبني عَبْس على ذُبْيان، قُتِلَ حذيفةُ وحَمَل ابنا بدر الذُّبْيانيّان، التقوا في يوم شديدِ الحَرِّ، فاقتتلوا إلى جانب جَفْر الهَباءة من أوّل النهار حتى اشتدّ الحَرُّ وحَجَز بينهم، وركض حُذَيفة وحَمَل ومالك بنو بدر، وكان حُذيفة على فرس يقال له: صارف، وأخوه حَمَل على الحَنْفاء، فنزلوا الجَفْر، فقال قَيس بن زُهير: يا بني عَبْس احْذَروا أن يَفوتوكم، فساقوا خَلفهم، فأدركوهم في الجَفْر، فرآهم حَمَلُ بنُ بدر، فقال لحُذيفة ومَن معه: مَن أَبغضُ إليكم أنْ يقفَ على رأس الجَفْر؟ فقالوا: قيس بن زهير والرَّبيع بن زياد، قال: فهذا قيس والرَّبيع، فصاح قيس: لبَّيكُم لبَّيكُم، أشار إلى الغِلْمة الذين أوصى بهم سُبَيع بن عمرو ولدَه مالك بنَ سُبَيع وقال: لا تُسلمهم إلى حُذيفة، وأنه سلّمهم إليه فقتلهم حذيفة، وقد ذكرناه[2]، وإنما صاح قيس: لبّيكم لبّيكم، لأنهم كانوا يُنادونه: يا أبه يا أبه، وحذيفةُ يَقْتلهم، قال حُذيفة: يا قيس ناشدتُك الله والرَّحِم، فقال قيس: لبّيكم لبيكم، فعلم حذيفةُ أنه قاتلُه، فقال: والله لئن قتلتَني لا تنصلحُ غطفانُ أبداً، فقال قيس: أبعَدَها الله ولا أَصلَحها.

ثم تَوافت فرسانُ بني عَبْس، وكان معهم في الجَفْر وَرْقاءُ بنُ هلال الثّعلبيّ وحَنَش ابنُ وَهْب، وحمل عليهم شَدَّاد بنُ معاوية العَبْسي، فحال بينهم وبين خيولهم، وقتلوا الجميع، ومثّلوا بحذيفة كما فعل بالغِلْمة، وقطعوا مذاكيرَه وجعلوها في فِيه، ودَسُّوا

(١) النقائض ٣٠٥ـ٣٠٧، والعقد ٥/ ١٨٢ـ١٨٤ وما بين معكوفين منهما، وانظر الملاحن لابن دريد ٥٦، وأمالي القالي ١/ ٦، واللآلي ١/ ٢١، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٣٨٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٤٣٣.

(٢) في يوم حُسا.

لسانَه في اسْتِه، ولهم في يوم الهَباءة أشعارٌ كثيرة، منها قول قَيس بن زُهير: [من الوافر]

تَعلَّم أن خيرَ الناس مَيْتٌ ... على جَفْرِ الهَباءةِ لا يَريمُ
ولولا ظُلْمُه مازلتُ أبكي ... عليه الدَّهرَ ما طَلع النُّجومُ
بغى حَمَلُ بنُ بدر مع أخيه ... وإن البَغْيَ مَصرَعُه وَخيمُ[1]
أظنُّ الحِلْمَ دَلَّ عليَّ قومي ... وقد يُستَضْعَفُ[2] الرَّجلُ الحليمُ
ومارسْتُ الرِّجالَ ومارَسوني ... فمُعوَجٌّ عليَّ ومُستقيمُ

ومنها **يوم اليَعْمريَّة**، لما بلغ عَبْساً ما فعل حُذَيفة بالغِلْمان، اجتمعوا والتَقَوا، فقتلوا مالك بن سُبيع الذي سَلَّم الغِلْمة إلى حُذيفة، وأخاه يزيد بنَ سُبيع، وعامر بن لَوْذان وغيرهم، وانهزم حُذيفة بن بدر، ثم قُتل بعد ذلك على ما ذكرنا[3].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) رواية البيت في المصادر:

ولكن الفتى حمل بن بدر ... بغى والبغي مرتعه وخيم

ولم أجد رواية المصنف، انظر النقائض ٩٦، والفاخر ٢٢٧، والعقد ٥/ ١٥٧، والأغاني ١٧/ ٢٠٦، وشرح ديوان الحماسة ١/ ٤٢٩، وشرح الحماسة للتبريزي ١/ ٢٢١، ومجمع الأمثال ٢/ ١١٦.

(٢) في النسخ: يُستعطف، والمثبت من العقد.

(٣) العقد ٥/ ١٥٥.